رسالة

دعوتنا

٢٠ محرم ١٣٥٤هـ - ٢٣ أبريل ١٩٣٥م

تقـــديم

نشرت مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية هذه الرسالة على هيئة مقالات بلغت سبع مقالات، ونشرت المقالة الأولى في العدد (٢) والذي صدر بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٥٤هـ الموافق ٢٣أبريل ١٩٣٥م، ثم توالى النشر في الأعداد: (٣، ٤، ٦، ٧، ٨)، وكان العدد (١٠) من نفس السنة الصادر بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ الموافق ١٨ يونيو ١٩٣٥م هو آخر تلك الأعداد، والذي به تمت الرسالة.

غير أنها أعيد نشرها مرة أخرى في مجلة النذير في عددها (٣٩) من السنة الثانية، والذي صدر بتاريخ ٩ شوال ١٣٥٨هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٣٩م.

وقد أعيد نشرها في كتيب ضم رسالتين بجانبها وهما: «إلى أي شيء ندعو الناس»، و«نحو النور».

وقد استهل الإمام البنا الرسالة بالتعريف بغاية الإخوان، وذكر أصناف الناس، كما شخص الداء الذي أصاب الأمة الإسلامية، ووصف لها الدواء الذي يتمثل في المنهج الصحيح وهو اتباع كتاب الله، وسنة رسوله، والسير على نهج السلف الصالح.

* * *

(١) دعــــوتنا[(١)]

مصارحة[(٢)]:

نحب أن نصارح الناس بغايتنا، وأن نجلي أمامهم منهاجنا، وأن نوجه إليهم دعوتنا، في غير لبس ولا غموض، أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار.

براءة:

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا -وكل المسلمين قومنا- أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً، ولا نطالبهم بأجر، ولا نتزيد بهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكورًا، إن أجرنا في ذلك إلا على الذي فطرنا.

عاطفة:

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت[(٣)] بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا[(٤)]، وأسالت مدامعنا، وإنه لعزيز علينا

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثاني، السنة الثالثة، ٢٠ محرم ١٣٥٤هـ - ٢٣ أبريل ١٩٣٥م، ص(٣-٥)، وقد أعيد نشر الرسالة كاملة في مجلة النذير، العدد (٣٩)، السنة الثانية، ٩شوال ١٣٥٨هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٣٩م، ص(٣- ١٧)، وقد كانت هناك فروق بين الإصدارين أشرنا إليها في مكانها.

(٢) هذه العناوين غير موجودة بمجلة الإخوان المسلمين.

(٣) استبد الأمر بفلان: إذا غلبه فلم يقدر على ضبطه. [أساس البلاغة، مادة (بدد)].

(٤) يقال: أَقَضَّ على فلان مضجعه: إذا لم يطمئن به النوم. [تهذيب اللغة، مادة (قض)].

جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذلة، أو نرضى بالهوان، أو نستكين لليأس، فنحن حين نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم -أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يومًا[١] من الأيام.

لله الفضل والمنة:

ولسنا نمتن بشيء، ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً، وإنما نعتقد قول الله -تبارك وتعالى: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

كم[٢] نتمنى -لو تنفع المنى- أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم، والإشفاق عليهم، والتفاني في صالحهم؟ وهل يجدون إلا ألمًا ممضًا[٣] مضنيًا من هذه الحال التي وصلنا إليها؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد، بيده أَزِمّة[٤] القلوب ومفاتيحها، من يهد الله[٥] فلا مضل له، ومن يضلل الله[٦] فلا هادي له، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٧] [الزمر: ٣٦].

أصناف أربعة:

وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدًا من أربعة:

مؤمـــــن:

إما شخص آمن بدعوتنا، وصدق بقولنا، وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيرًا اطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر

---

(١) في النذير: «في يوم».

(٢) في النذير: «ولكم».

(٣) ناقصة من النذير، ومَضَّهُ الشيءُ مَضًّا ومضيضًا: بلغَ من قَلْبِهِ الحُزْنُ به، كأمَضَّهُ الخَلُّ فاهُ: أحْرَقَهُ، الكُحْلُ العيْنَ يَمُضُّها، بالضم والفتح: آلَمَها، كأَمَضَّها. [القاموس المحيط، (٢/ ٢٠١)].

(٤) زَمَّ الشيءَ يَزُمُّه زَمًّا فانْزَمَّ: شده. والزِّمامُ: ما زُمَّ به، والجمع أَزِمَّة [لسان العرب، مادة (زمم)].

(٥) زيادة من النذير.

(٦) زيادة من النذير.

(٧) في النذير: «عباده».

به عدد المجاهدين، ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه، وآمنوا برسالاته، وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

متردد:

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده، ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتنا، ويزور أنديتنا، ويتعرف إلى إخواننا، فستطمئن [بعد ذلك نفسه، وسيهدأ قلبه، وسيكون](1) بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل.

نفعي:

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة، وما يجره هذا البذل له من مغنم فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم الله فيك خيرًا، أما نحن فمغمورون جاهًا، فقراء مالاً، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نعم المولى ونعم النصير، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه، وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا؛ لينال ثواب الله في العقبى، و﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وإن كانت الأخرى فالله غني عمن لا يرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن ﴿الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) ناقصة من النذير.

متحامل:

وإما شخص ساء فينا ظنه، وأحاطت بنا شكوكه وريبه[١]، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج[٢] في غروره، ويسدر[٣] في شكوكه، ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، ندعوه إن قبل الدعاء، ونناديه إن أجاب النداء، وندعو الله فيه وهو -سبحانه- أهل الرجاء.

ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس [قوله تعالى][٤]: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذا سنظل نحبه، ونرجو فيئه[٥] إلينا، واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٦].

نحب أن يكون الناس معنا واحدًا من هؤلاء، وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية، أما تلك الغفلة السادرة، والخطرات اللاهية، والقلوب الساهية، والانصياع الأعمى، واتباع كل ناعق، فما هو من سبيل المؤمنين في شيء.

فناء:

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من أحاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) لَجَّ في الأمر: تمادى عليه وأبى أن يَنْصَرِفَ عنه [لسان العرب، مادة (لجج)].

(٣) سدر بصره واسمدر: إذا تحير فلم يحسن الإدراك، وفي بصره سدر وسمادير، وعينه سدرة. وإنه لسادر في الغيّ: تائه. وتكلم سادرًا: غير متثبت في كلامه. [أساس البلاغة، مادة (سدر)].

(٤) ناقصة من النذير.

(٥) فاء إلى الله فيئة حسنة: إذا تاب ورجع. [السابق، مادة (فيأ)].

(٦) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: «حديث الغار»، ح(٣٢١٨)، ومسلم في «الجهاد والسير»، باب: «غزوة أحد»، ح(٣٣٤٧).

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فهي دعوة لا تقبل الشركة؛ إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين، ويكون مع المخلفين، ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قومًا آخرين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

[وقد أطلت في هذه المقدمات بين يدي حديثي عن دعوتنا، فحسبي ذلك الآن، وإلى اللقاء][1].

* * *

(١) ناقصة من النذير.

(٢) دعوتنا[١]

وضوح:

نحن ندعو الناس إلى (مبدأ).. مبدأ واضح محدود مسلّم به منهم جميعًا، هم جميعًا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته، ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم.. مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ بصلاحيته[٢] للخلود وأهليته لإصلاح الوجود.

إيمانان:

والفرق بيننا وبين قومنا -بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ- أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين.

ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا في نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانًا يخيل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال، وبذل النفس والمال، واحتمال المصاعب، ومقارعة الخطوب، حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسي كل إيمانه وغفل عن فكرته، فهو لا يفكر في العمل لها، ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد في سبيلها، بل إنه قد يبالغ في هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر!

وألست تضحك عجبًا حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة في ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحدًا مع الملحدين وعابدًا مع العابدين!

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل ما شئت هو الذي جعلنا نحاول أن نوقظ (مبدأنا)، وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا في نفوس هؤلاء القوم المحبوبين.

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثالث، السنة الثالثة، ٢٧ محرم ١٣٥٤هـ- ٣٠ أبريل ١٩٣٥م، ص(٣-٤، ٩).

(٢) في النذير: «صلاحيته».

دعـــوات:

وإذن سأعود إلى أول كلمتي فأقول: إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبدأ، وفي الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادئ وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم، وكلها يزينه أهله، ويقوم بالدعاية له أبناؤه وأتباعه وعشاقه ومريدوه، ويدّعون له من المزايا والمحاسن ويبالغون في هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلاً خلابًا رائعًا.

دعـــاة:

والدعاة اليوم غيرهم بالأمس؛ فهم مثقفون مجهزون مدربون أخصائيون[1] - ولاسيما في البلاد الغربية؛ حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربة توضح غامضها، وتكشف عن محاسنها، وتبتكر لها وسائل النشر وطرائق الدعاية، وتتلمس لها في نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع.

وســـائل:

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك؛ فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع، أو كلمة تكتب في رسالة أو خطاب، أما الآن فنشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح و(خيالات) وحاكٍ ومذياع، وقد ذلل ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم نساء ورجالاً في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم.

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعًا حتى يأتي عملهم بثمرته المطلوبة.

وما لي ولهذا الاستطراد؟ سأعود مرة ثانية فأقول: إن العالم الآن في حال تخمة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية، فأين دعوة الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله؟

سيدعوني ذلك [إلى][2] أن نتكلم[3] في أمرين: أولهما: هيكل دعوتنا الإيجابي المجرد، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات.

(١) هذا التعبير خطأ لغوي شائع، والصواب: «اختصاصيون أو مختصون».

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «أتكلم».

ولا تؤاخذني بهذا الاستطراد في القول؛ فقد أخذت على نفسي أن أكتب كما أتحدث، وأن أتناول موضوعي بهذا اللون من ألوان الكتابة في غير تكلف ولا عناء، وإنما أريد أن يفهمني [القراء][1] كما أنا، ويصل كلامي إلى نفوسهم خاليًا من التزويق والتقسيم [والتفريع][2].

إسلامنا:

اسمع يا أخي، هيكل دعوتنا أنها دعوة أجمع ما توصف به أنها دعوة (إسلامية)، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، [فإن الإسلام نعتقد أنه][3] معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعًا، ويفتي في كل شأن منها، ويضع له نظامًا محكمًا دقيقًا، ولا يقف مكتوفا أمام المشاكل الحيوية والنظم التي لا بد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام قاصر على ضروب من العبادات، أو أوضاع من الروحانيات، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور.

ولكنا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه: نفهمه فهمًا فسيحًا واسعًا ينتظم شئون الدنيا والآخرة، ولسنا ندعي هذا ادعاء، أو نتوسع فيه من أنفسنا، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله، وسيرة المسلمين الأولين، [والقرآن بيننا وبين قومنا، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]][4].

فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشيء أوسع من كلمة «الإسلامية» فليمسك بمصحفه، وليجرد نفسه من الهوى والغاية، ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الإخوان، [وسنتحدث بعد ذلك عن موقفنا من الدعوات الأخرى، والله المستعان][5].

❊ ❊ ❊

(١) في النذير: «الناس».

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «فإنا نعتقد أن الإسلام».

(٤) ناقصة من النذير.

(٥) ناقصة من النذير.

(٣) دعـــوتنا[١]

[أجل][٢]: دعوتنا (إسلامية)، بكل ما تحتمل الكلمة من معان، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك، وأنت في فهمك هذا مقيد بكتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالحين من المسلمين، فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته، وأما سنة [رسوله][٣] فهي مبينة الكتاب وشارحته، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره، والآخذون بتعاليمه، وهم المثل العملية، والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم.

موقفنا من الدعوات:

وموقفنا من الدعوات المختلفة -التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار- أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا به، وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحًا من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه.

الوطنية:

افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة، والقومية تارة أخرى، وبخاصة في الشرق؛ حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها، وأخذت من مالها ومن دمها؛ حيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير[٤] الغربي الذي فرض عليها فرضًا، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في [نفسها][٥] من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء، وسالت أنهار الصحف، وكتب الكاتبون، وخطب الخطباء، وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية.

حسن ذلك وجميل، ولكن غير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشعوب

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الرابع، السنة الثالثة، ٤ صفر ١٣٥٤هـ- ٧ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٥، ١٩).

(٢) زيادة من النذير.

(٣) في النذير: «نبيه».

(٤) النير: الخشبة توضع على عنق الثور، أو عنقي الثورين المقرونين لجر المحراث أو غيره، وقد استعيرت الكلمة هنا لوصف الاحتلال. [المعجم الوجيز، ص(٦٤١)].

(٥) في النذير: «وسعها».

الشرقية -وهي مسلمة- أن ذلك في الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا في تقليدهم يعمهون[١]، وزعموا لك أن الإسلام في ناحية وهذه الفكرة في ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة، ويضعف رابطة الشعب.

هذا الوهم الخاطئ [بكلتا ناحيتيه][٢] كان خطرًا على الشعوب الشرقية من كل الوجهات، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية، ذلك[٣] الموقف الذي ارتضوه لأنفسهم، والذي يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم.

وطنية الحنين:

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالاً الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر[٤] وجليل[٥]
وهل أردن يوما مياه مجنة[٦] ... وهل يبدون لي شامة وطفيل[٧]

[وكان غيره من المهاجرين يقول:

---

(١) العَمَهُ: التردد في الضلالة، والتحير في منازعة أو طريق. وقيل: هو ألا يعرف الحجة. وقيل: هو تردده، لا يدري أين يتوجه. [المحكم والمحيط الأعظم، (١/ ٤١)].

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «وذلك».

(٤) الإذخِرُ بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَّفُ بها البيوُت فوق الخشبِ. [أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير): النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٦٥)].

(٥) الجَلِيل: الثُّمام (حِجازيَّة): نبت ضعيف يحشى به خَصاص البيوت. [لسان العرب، (جلل)].

(٦) عند مر الظهران، قُربَ مَكَّة، وكانت سُوقًا في الجاهلية. وقال السكري: مجنة على أميال من مَكَّة. [الحازمي: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص(١١٣)].

(٧) شامة وطفيل: هما جبلان مُشْرِفانِ قرب مكة، وقيل: عينان. والأول أكثر. [الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص(٦٧)، لسان العرب، (١٢/ ٣٢٩)].

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي الخزامى[١] حيث ربتني أهلي][٢]

ولقد سمع رسول ﷺ وصف مكة من أصيل فجرى دمعه حنينًا إليها وقال: «يا أصيل، دع القلوب تقر»[٣].

وطنية الحرية والعزة:

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضًا، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد، فقال -تبارك وتعالى: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ويقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

وطنية المجتمع:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد، وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضًا، ويراه الإسلام فريضة لازمة، فيقول نبيه ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»[٤]، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

[وطنية الفتح:

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام

---

(١) ذكره اليوسي في كتابه «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، ص(١٥٣)، وذكر تكملة له، وهو:

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي ... وقطعن عني حين أدركني عقلي

ووادي الخزامي: موضع.

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) أخرجه أبو الفتح الأزدي في «المخزون في علم الحديث»، ح(٨٥٨)، وأبو الشيخ في «العظمة»، ح(٧٢٩)، وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق»، ح(٧٩).

(٤) سبق تخريجه.

ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]](١).

وطنية الحزبية:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر، وتتضاغن، وتتراشق بالسباب، وتترامى بالتهم، ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء، وشكلتها الغايات والأغراض، وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته، ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً، يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله، فلا يقصدون إلا داره، ولا يجتمعون إلا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس.

فها أنت قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على العباد والبلاد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام.

حدود وطنيتنا:

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم.

ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر لك الفارق العملي فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوي نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر إسلامي، وإنما نطلب القوة لنا جميعًا، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون [بذلك](٢) بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط، وتضعف القوى، ويضرب

---

(١) زيادة من النذير.

(٢) في النذير: «في ذلك»

العدو بعضهم ببعض.

غاية وطنيتنا:

هذه واحدة[١]. والثانية أن الوطنيين فقط جل ما يقصدون إليه تخليص بلادهم، فإذا ما[٢] عملوا لتقويتها بعد ذلك ففي النواحي المادية، وفي سبيل المطامع المادية كما تفعل أوروبا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها، تلك هي هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقًا في كل ربوع الأرض، لا يبغي بذلك مالاً ولا جاهًا ولا سلطانًا على أحد ولا استعبادًا لشعب، وإنما يبغي وجه الله وحده، وإسعاد العالم بدينه، وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا السلف[٣] الصالحين -رضوان الله عليهم- إلى هذه الفتوح القدسية التي أدهشت الدنيا، وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل.

[أطلت عليك في هذا فأمللتك، وأشعر أن الموقف دقيق، والفوارق غير واضحة رغم هذا البيان المفصل، ولعلي إن أجملت لك وأوضحت فسأجمل لك في كلمتين: فاعلم أننا حين نعمل يحدونا إلى العمل إنفاذ أمر الله، وإعلاء كلمته، ورجاء رضوانه، وغيرنا إنما يعمل لعاطفة في نفسه حقيقية أو متكلفة، فنحن نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون][٤].

وحدة:

وأحب [قبل أن أختم هذه الكلمة][٥] أن أنبهك إلى سقوط ذلك الزعم القائل: إن الجري على هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة التي تتألف من عناصر دينية مختلفة، فإن الإسلام -وهو دين الوحدة والمساواة- كفل هذه الرابطة[٦] بين الجميع ما داموا متعاونين على الخير، ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فمن أين يأتي التفريق إذًا؟

---

(١) في النذير «هذه هي واحدة».
(٢) زيادة من النذير.
(٣) في النذير: «بالسلف».
(٤) ناقصة من النذير.
(٥) ناقصة من النذير.
(٦) في النذير: «الروابط».

[وبعد: فحسبنا أن يعلم الناس عنا](١) أننا متفقون مع أشد الناس غلوًّا في الوطنية في حب الخير للبلاد، والجهاد في سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها، ونعمل ونؤيد كل من يسعى في ذلك بإخلاص، [ذلك هو المهم العملي الآن، وإن كنا حين نعمل نرى ذلك فريضة إسلامية، ويراه فريضة وطنية، حتى إذا ما نجحت هذه الخطوة المشتركة بين الجميع كان هناك المجال واسعًا لغيرها من الخطوات](٢).

* * *

(١) في النذير: «أفرأيت بعد هذا كيف».

(٢) هذه الفقرة ليست في النذير، ولكن الموجود فيها: «بل أحب أن تعلم أن مهمتهم إن كانت تنتهي بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة ويبقى بعد ذلك أن يعملوا لترفع راية الوطن الإسلامي على كل بقاع الأرض ويخفق لواء المصحف في كل مكان».

(٤) دعوتنا[١]

[وقفت بك عند موقفنا من فكرة الوطنية، وأبنت لك أننا في الوقت الذي نحنُ فيه إلى هذا الوطن بفطرنا، ونستشعر حقه وواجبنا نحوه بقلوبنا وعواطفنا وشعورنا، نعتقد إلى جانب هذا أن المحافظة على كل شبر أرض من أرضه فريضة إسلامية يسألنا الله عنها بين يديه، وأبنت لك كذلك أننا نفهم هذا الوطن بأوسع حدوده؛ فكل شبر أرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من وطننا الذي تجب له هذه الحقوق، ويقتضينا هذه الواجبات][٢].

القومية:

وأنا[٣] الآن سأتحدث إليك عن موقفنا من مبدأ القومية:

قومية المجد:

فإن[٤] كان الذين يعتزون بمبدأ «القومية» يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارج النبوغ والهمة، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية[٥] بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل الإشارة إلى هذا في قول رسول الله ﷺ ما معناه: «الناس معادن وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد السادس، السنة الثالثة، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ- ٢١ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٥).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) في النذير: «إن».

(٥) الأَرْيَحُ: الواسع من كل شيء. والأَرْيَحِيُ: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. وأخذه لذلك أَرْيَحِيَّةٌ، أي: خفة وهشة. [المحكم والمحيط الأعظم، (ريح)].

فتفقهوا»[١]، فها أنت ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل.

قومية الأمة:

وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره، وأحقهم بإحسانه وجهاده، فهو حق كذلك، ومن ذا الذي لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب[٢]

قومية التنظيم:

وإذا قصد بالقومية أننا جميعا مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد، فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقي [جميعًا][٣] -إن شاء الله- في ساحة النصر فنعم التقسيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كتائب كل في ميدانها حتى تلتقي جميعًا في بحبوحة[٤] الحرية والخلاص؟

كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام، «وهو مقياسنا»، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه.

قومية الجاهلية:

أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت، وتعفية حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية

---

(١) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: «قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾»، ح(٣١٣١)، ومواضع أخر، ومسلم في «فضائل الصحابة»، باب: «خيار الناس»، ح(٤٥٨٨) ومواضع أخر.

(٢) قاله خالد بن نَضْلَة الجَحْوانِي الأَسَدِي، وهو من الطويل، وتكملته:

مِنَ الجانِبِ الأقصَى- وإنْ كانَ ذا نَدى ... كثيرٍ ولا يُنْبِيكَ مثلُ المجرِّبِ
إذا كنْتَ في قومٍ عِدًا لستَ مِنْهُمُ ... فكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبيثٍ وَطَيِّبِ
فإنْ تَلْتَبِسْ بي خَيلُ دُودَانَ لا أَرِمْ ... وإن كنتُ ذا ذَنْبٍ وإن غَيْرَ مُذْنِبِ

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) بَحْبَحَ الرَّجُلُ وتَبَحْبَحَ: إذا اتَّسع. والبَحْبَحَة: الاتساع. [جمهرة العرب، مادة (بحبح)].

والاعتزاز بالجنس، كما فعلت [تركيا مثلاً][١] في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات [طورانية][٢]، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيئ[٣] المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه، وتنحط به منزلته، ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله وهو دين الإسلام، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا، فـ﴿إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

قومية العدوان:

وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى، والعدوان عليها، والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادي بذلك ألمانيا وإيطاليا مثلاً، بل كما تدعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع. فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه: أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه.

دعامتان:

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها، ولا يقولون: فرعونية وعربية وفينيقية[٤] وسورية، ولا شيئًا من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز[٥] بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ الإنسان الكامل، بل أكمل معلم علم الإنسانية الخير: «إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم

(١) في النذير: «بعض الدول».

(٢) في النذير: «جاهلية»، والطورانية نسبة إلى طُوران: بضم أوله وآخره نون. من قرى هراة الواقعة بخراسان، وكان يسكن بها الجنس التركي قبل هجرة آل عثمان الأتراك إلى آسيا الصغرى فيما يعرف بتركيا، وقد اتخذت الطورانية علمًا على القومية التركية.

(٣) في النذير: «وسيئ».

(٤) الفينيقيون: شعب سام انتقل من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وهم من يطلق عليهم: «الكنعانيون»، وهم قوم أصحاب حضارة كانت لهم أساطيل بحرية تجارية كبيرة.

(٥) النَّبْز، بالفَتْح: مِثْلُ اللَّمْز. النَّبْز، مصدرُ نَبَزَه يَنْبِزه، إذا لَقَّبَه. النَّبَز، بالتحريك: اللقَبُ والجَمعُ الأَنْباز، والتَّنابُز: التَّعايُر، وهو أن يُلقِّبَ بَعْضُهم بعضًا بما يُعيِّرُه به [تاج العروس، مادة (نبز)].

من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[١].

ما أروع هذا وأجمله وأعدله! الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء، والناس يتفاضلون بالأعمال، فواجبهم التنافس في الخير، دعامتان قويمتان قويتان لو بنيت عليهما[٢] الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السموات، الناس لآدم فهم إخوان، فعليهم أن يتعاونوا، وأن يسالم بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا، ويدل بعضهم بعضًا على الخير، والتفاضل بالأعمال. فعليهم أن يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سموًّا بالإنسانية أعلى من هذا السمو، أو تربية أفضل من هذه التربية؟

خواص العروبة:

ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية، فنحن نعلم أن لكل شعب ميزته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى الأوفر.

ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمة السابقة التي كلفها كل شعب، تلك هي النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجدًا في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ.

هذا استطراد اقتضاه السير في البحث ولا أحب أن أتابعه حتى لا يشط بنا القول، ولكني أعود بك إلى ما نحن بسبيله [فأقول:][٣]

رباط العقيدة:

أما إذ عرفت هذا فاعلم -أيدك الله - أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين:

قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه، وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة، وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة»، ح(٧١٣)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»، ح(١١٦٣).
(٢) في الأصل: «عليها».
(٣) ناقصة من النذير.

الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنّ إليهم، ونعمل في سبيلهم، ونذود عن حماهم، ونفتديهم بالنفس والمال في أي أرض كانوا، ومن أية سلالة انحدروا.

وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالموا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه؛ لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين.

أما إذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع:

١- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢- ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

ولعلي أكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها في نفسك ملتبسة أو غامضة، ولعلك بعد ذلك عرفت إلى أي قبيل ينتسب الإخوان المسلمون.

* * *

(٥) دعوتنا[١]

أمام الخلافات الدينية:

أتحدث إليك الآن عن دعوتنا أما الخلافات الدينية والآراء المذهبية [بعد أن كشفت لك عن ماهية دعوتنا، وتحدثت إليك عنها مع القومية تارة، ومع الوطنية تارة أخرى][٢].

نجمع ولا نفرق:

فاعلم -فقهك الله- أولاً أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأي عرف عند الناس بلون خاص، ومستلزمات وتوابع خاصة، وهي تتوجه إلى صميم الدين ولبه، وتود[٣] أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى، والإنتاج أعظم وأكبر، فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون، وهي مع الحق أينما كان، تحب الإجماع، وتكره الشذوذ، وإن أعظم ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف، وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم، وعقيدة راسخة في نفوسنا، نصدر عنها وندعو إليها.

الخلاف ضروري:

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بدَّ منه ضرورة، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة:

منها: اختلاف العقول في قوة الاستنباط وضعفه، وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعاني، وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف.

ومنها: سعة العلم وضيقه، وأن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك، وقد

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد السابع، السنة الثالثة، ٢٥ صفر ١٣٥٤هـ- ٢٨ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٤، ١٠).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «ونود».

قال مالك لأبي جعفر[1]: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة. ومنها: اختلاف البيئات حتى إن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الإمام الشافعي ؓ يفتي بالقديم في العراق ويفتي بالجديد في مصر، وهو في كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق في كليهما.

ومنها: اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند المتلقين لها، فبينا تجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسه وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحًا عند غيره لما علم من حاله.

ومنها: اختلاف تقدير الدلالات؛ فهذا يعتبر عمل الناس مقدمًا على خبر الآحاد مثلاً، وذاك لا يقول معه به، وهكذا..

الإجماع على أمر فرعي متعذر:

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين نفسه[2]، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور، ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين لين، لا جمود فيه ولا تشديد.

نعتذر لمخالفينا:

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدًا حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا [وإياهم][3] معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده، وأوسع مشتملاته، ألسنا

---

(١) المنصور العباسي [٩٥- ١٥٨هـ = ٧١٤- ٧٧٥م]: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا، ولد في الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وهو باني مدينة «بغداد» أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ، وجعلها دار ملكه بدلا من «الهاشمية» التي بناها السفاح. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما بالحج. ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عامًا [الأعلام، (٤/ ١١٧)]، بتصرف.

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في الإخوان: «وإياه».

مسلمين وهم مسلمون(١)؟ وألسنا نحب أن ننزل على [حكم](٢) اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ أولسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ ففيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ ولماذا لا نتفاهم في جو من الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضًا في الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافًا بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم وفرق رابطتهم؟ اللهم لا، [وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد](٣).

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهدًا بالنبوة، وأعرفهم بقرائن الأحكام، فما بالنا نتناحر في خلافات تافهة لا خطر لها؟ وإذا كان الأئمة -وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله- قد اختلف بعضهم على بعض، وناظر بعضهم بعضًا، فلم لا يسعنا ما وسعهم؟ وإذا كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد، ووردت به النصوص والآثار، فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط؟ [وَثَمَّ أمر آخر جدير بالنظر، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة، فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف، أما الآن فأين الخليفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضي، ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر](٤).

يعلم الإخوان المسلمون كل هذه الحيثيات، فهم لهذا أوسع الناس صدرًا مع مخالفيهم، ويرون أن مع كل قوم علمًا، وفي كل دعوة حقًا وباطلاً، فهم يتحرون الحق

---

(١) في النذير: «كذلك».

(٢) ناقصة من الإخوان.

(٣) ناقصة من الإخوان، ويشير الإمام البنا لما أخرجه البخاري في «المغازي»، باب: «مَرْجَعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ»، ح(٤١١٩) من طريق ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ. إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

(٤) ناقصة من الإخوان.

ويأخذون به، ويحاولون في هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم. فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

حاربوا المنكر:

وليعلم الإخوان المسلمون أن هناك ناحية اجتماعية هي أخطر النواحي على كيان هذا الدين، فحبذا لو وجهت جهود الدعاة من المسلمين إلى جمع الناس حول محاربة هذه النواحي الخطرة التي تهدد الدين من أساسه، والتي نحن جميعًا مجمعون على استنكارها ووجوب العمل لإزالتها.

ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله يمكن أن أجمله لك في أن الإخوان يجيزون الخلاف، ويكرهون التعصب للرأي، ويحاولون الوصول إلى الحق، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب.

[بقي بعد هذا أن أتحدث إليك عن الأهداف التي نرمي إليها، ثم عن الوسائل التي أعددناها لإصابة هذه الأهداف، ولعلي لا أعدو بعد ذلك كلمة أو كلمتين -إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

(٦) دعوتنا[١]

عرفت موقف الإخوان المسلمين من كل دعوة من الدعوات التي تهفو بقلوب الشرق وعقول أبنائه في هذه الأيام العصيبة، وقد قدمت لك أن دعوة الإخوان (إسلامية) بكل ما تحتمله هذه الكلمة الفخمة العظيمة الواسعة المعاني والمشتملات من نواح واتجاهات، وقد وعدتك أن أتكلم لك في كلمة أو كلمتين عن بقية ما قصدت إليه من الكشف عن غاية الإخوان ووسائلهم، وأرجو أن أوفق بذلك إلى إتمام هذه السلسلة البيانية، والله المستعان][٢].

إلى العلاج:

تشخيص:

يا أخي، أَعْلمُ وَتَعْلمُ أن مثل الأمم في قوتها وضعفها وشيخوختها وشبابها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء، فالفرد بينا تراه قويًا معافى صحيحًا سليمًا، إذا بك تراه قد انتابته العلل، وأحاطت به الأسقام، وهدّت من بنيته القوية الأمراض والآلام، ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله -تبارك وتعالى- بطبيب ماهر ونطاسي بارع يعلم موطن العلة ويحسن تشخيصها، ويتعرف موضع الداء ويخلص في علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له[٣] صحته، وربما كان بعد هذا العلاج خيرًا منه قبله.

قل مثل ذلك في الأمم تمامًا، تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها، ويصدع بنيانها، ويسري في مظاهر قوتها سريان الداء، ولا يزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون، وينال منها الغاصبون، فلا تقوى على رد غاصب، ولا تمنع من مطامع[٤] طامح، وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة: معرفة موطن الداء، والصبر على آلام العلاج، والنطاسي الذي يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثامن، السنة الثالثة، ٤ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ٤ يونيو ١٩٣٥م، ص(٣-٤).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «إليه».

(٤) في النذير: «مطامح».

الغاية ويتمم الشفاء والظفر.

الأعراض:

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها، فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها.

وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها، واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها.

ومن ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق، والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها.

وفي ناحيتها الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربي يسري في شئونها سريان لعاب الأفاعي فيسمم دماءها، ويعكر صفو [هناءتها](١)، وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرمًا، ولا تؤدب معتديًا، ولا ترد ظالمًا، ولا تغني يومًا من الأيام غناء القوانين السماوية التي وضعها خالق الخلق، ومالك الملك، ورب النفوس وبارئها.

وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها.

وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل، وخمول مميت، وجبن فاضح، وذلة حقيرة، وخنوثة فاشية، وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل وتقف حجابًا دون التضحية، وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين.

وماذا ترجو من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها، وأشد أغراضها: الاستعمار، والحزبية، والربا، والشركات الأجنبية، والإلحاد، والإباحية، وفوضى التعليم، والتشريع، واليأس، والشح، والخنوثة، والجبن، والإعجاب بالخصم إعجابًا يدعو إلى تقليده في كل ما صدر عنه، وبخاصة من سيئات أعماله.

---

(١) في النذير: «هنائها».

إن داء واحدًا من هذه الأدواء يكفي لقتل أمم متظاهرة، فكيف وقد تفشت جميعًا في كل أمة على حدة؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الأمم الشرقية التي جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمنًا طويلاً حتى باضت وأفرخت، لولا ذلك لعفت آثارها، ولبادت من الوجود، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون.

يا أخي:

هذا هو التشخيص الذي يلمسه الإخوان المسلمون في أمراض هذه الأمة، وهذا هو الذي يعملون في سبيل أن يبرئها الله منه، ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشباب، [أما الوسيلة إلى التحقيق -وهي خاتمة هذه الكلمات- فموعدنا العدد القادم -إن شاء الله.

* * *

(٧) دعوتنا[١]

انتهيت من كلمتي السابقة إلى تشخيص الداء العضال الذي جثم على صدر الأمة الإسلامية قرونًا عدة، فضايق أنفاسها، وحرمها نسيم القوة، وحال بينها وبين النهوض أمدًا طويلاً، وأبنت لك أن من أظهر مظاهر أعراض هذا الداء: الاستعمار، والحزبية، والربا، والشركات الأجنبية، والإلحاد، والإباحية، وفوضى التعليم والتشريع، واليأس، والشح، والخنوثة، والجبن، والإعجاب بالخصم إعجابًا يدعو إلى تقليده تقليدًا أعمى.

وقد علمت أن كل واحد من هذه الأعراض يكفي لإفساد أمم متضافرة، فكيف إذا تضافرت هذه الأعراض جميعًا في كل أمة على حدة؟

ووقفت عند الوسيلة لعلاج الأمم الشرقية، وإنقاذها من هذا الكابوس الثقيل الظل الوخيم الأثر][٢].

أمل وشعور:

وأحب أن تعلم -يا أخي- قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا، وأنا نؤمل خيرًا كثيرًا، ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس، فإذا قوي الأمل في نفوسنا فسنصل إلى خير كثير -إن شاء الله، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله.

وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين، إنك إذا دخلت على مريض فوجدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه، فإذا انعكس الأمر وأخذ يتدرج من صمت إلى كلام ومن همود إلى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه في طريق الصحة والعافية.

ولقد أتى على هذه الأمم الشرقية حين من الدهر جمدت فيه حتى ملها الجمود، وسكنت حتى أعياها السكون، ولكنها الآن تغلي غليانًا بيقظة شاملة في كل مناحي الحياة، وتضطرم اضطرامًا بالمشاعر الحية القوية والأحاسيس العنيفة. ولولا ثقل القيود من جهة والفوضى في

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد العاشر، السنة الثالثة، ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ١٨ يونيو ١٩٣٥م، ص(٣-٤).

(٢) ناقصة من النذير.

التوجه من جهة أخرى لكان لهذه اليقظة أروع الآثار، ولن تظل هذه القيود قيودًا أبد الدهر فإنما الدهرُ قُلَّبٌ[(١)]، وما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال[(٢)]، ولن يظل الحائر حائرًا فإنما بعد الحيرة هدى، وبعد الفوضى استقرار، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

لهذا لسنا يائسين أبدًا، وآيات الله -تبارك وتعالى- وأحاديث رسوله ﷺ وسنته تعالى في تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء، وما قصه علينا من ذلك في كتابه، كل ذلك ينادينا بالأمل الواسع، ويرشدنا إلى طريق النهوض الصحيح، ولقد علم المسلمون -لو يتعلمون.

وإنك لتقرأ الآية الكريمة في أول سورة القصص: ﴿طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ١-٦].

تقرأ هذه الآية الكريمة فترى كيف يطغى الباطل في صولته[(٣)]، ويعتز بقوته، ويطمئن إلى جبروته، ويغفل عن عين الحق التي ترقبه، حتى إذا فرح بما أوتي أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين، فإذا الباطل منهار من أساسه، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان، وإذا أهله هم الغالبون، وليس بعد هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر في اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه. فمتى يتفقه المسلمون في كتاب الله؟

لمثل هذا يا أخي -وهو كثير في دين الله- لم ييأس الإخوان المسلمون من أن ينزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقابيل[(٤)]، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل المجد، والله المستعان.

---

(١) أي: كثير التقلب والتغير.

(٢) يقتبس الإمام البنا ذلك الكلام من قول الطغرائي من بحر البسيط:

فبينَ غفوةِ عينٍ وانتباهتِها ... يُقلِّبُ الدهرُ من حالٍ إلى حالِ

(٣) رجل ذو صَوْلَة، إذا كان ذا سُلطان. وصالَ عليه، إذا استطال. [الصحاح، (صول)].

(٤) في النذير: «عقبات»، والعَقابيلُ: الشدائد من الأُمور. [لسان العرب، مادة (عقبل)].

أما الوسيلة التي وعدتك الكلام عليها فهي أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان:

أولاً: المنهاج الصحيح: وقد وجده الإخوان في كتاب الله، وسنة رسوله، وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات، فعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واضحة[١] مستوعبة.

وثانيها: العاملون المؤمنون: ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقًا لا هوادة فيه ولا لين، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم، مطمئنون إلى غايتهم، واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له يعملون، وعلى هدي رسوله ﷺ يسيرون.

وثالثها: القيادة الحازمة الموثوق بها: وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون، وتحت لوائها يعملون.

ذلك -يا أخي- مجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا، وهو تعبير له تعبير[٢]، وأنت يوسف هذه الأحلام، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سويًّا في هذا السبيل، والله ولي توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير. [والله أكبر ولله الحمد][٣].

* * *

---

(١) في النذير: «واسعة».

(٢) عَبَرْتُ الرؤيا أَعْبُرُها عِبارَةً: فَسَّرتها. [الصحاح، مادة (عبر)].

(٣) زيادة من النذير.